«المسيح أمام حنان»

«ثُمَّ إِنَّ الْجُنْدَ وَالْقَائِدَ وَخُدَّامَ الْيَهُودِ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ وَأَوْثَقُوهُ، وَمَضَوْا بِهِ إِلَى حَنَّانَ أَوَّلاً، لأَنَّهُ كَانَ حَمَا قَيَافَا الَّذِي كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ» (يوحنا ١٨: ١٢ و١٣).

بقلم: ادي كلور

تُقْسَم محاكمات يسوع عادة إلى ست مراحل. وتُعْتَبر كل مرحلة محاكمة منفصلة. كانت المحاكمات الثلاث الأولى هي محاكمات يهودية (أو دينية) في طبيعتها، والثلاث الأخيرة منها كانت محاكمات رومانية (أو مدنية). المحاكمات الثلاث الأولى (أي التي عقدت أمام حنان وقيافا والسنهدريم) هي المذهلة أكثر من أية محاكمة أخرى في التاريخ.انها تذكرنا بالحقيقة المحزنة التي تُرتَكب فيها الجرائم عادة بإسم الدين. إدانة يسوع وصلبه قام بهما القادة الدينيون الأكثر شهرة في القرن الأول. كما قال يوحنا: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ» (يوحنا ١: ١١). الَذين كان ينَبغي أن يكونوا أول من أكرموه ونادوا به بانه المسيح والرب، أصبحوا أول الذين رفضوه! الديانة الحقيقية هي أكبر بركة منحها الله للإنسان على الاطلاق. ولكن الديانة الكاذبة هي أكبر مفسد للبشر.

إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذي يخبرنا بان يسوع أخذ إلى حنان. أدخل يوحنا حقيقة ينبغي اعتبارها في قصة آلام المسيح، وهي: الدور الذي قام به القائد الديني حنان في فحص وقتل يسوع.

لم يكن حنان القائم بأعمال رئيس الكهنة عند القبض على يسوع، ولكن يبدو انه كان القوة وراء قيافا رئيس الكهنة الحقيقي. لقد شغل قبل ذلك منصب رئيس الكهنة لمدة عشرين سنة (٧-١٤م). ولكن غراطس اقاله من منصبه بعد اختلافات معه. كان على رئيس الكهنة أن يبقى في منصبه حتى موته بحسب العهد القديم. أما روما فقالت: «يمكن أن تحكم على شعبك ولكننا سنتخار من الذي يكون رئيس كهنتكم. مع أن روما أقالت حنان من منصبه، إلا أن اليهود ظلوا يعتبرونه رئيساً للكهنة (لوقا ٣: ٢). كان قد دبر لابنه اليعازر أن يتولى هذا المنصب من بعده. وبعد ذلك استطاع أن يضع قيافا زوج ابنته في مكانه. ورتب أيضاً لأربعة أبناء آخرين أن يكونوا رؤساء كهنة بعد قيافا. تدل هذه الحقائق بانه لم يكن لأحد في أورشليم تأثير في نفوذ السلطة اليهودية مثلما كان لهذا الرجل. لا بد انه كان واحداً من أقوى الرجال في أورشليم في ذلك الزمان.

بالإضافة إلى كل هذا، كان يُعْرَف أيضاً بانه الذي حرض على قتل يسوع. هناك احتمال كبير في أن يهوذا ناقش معه لكي يسلم يسوع مقابل ثلاثين من الفضة. كان حنان يملك السلطان والمال والسيطرة. كان باستطاعته أن يأتي ويأخذ أقوى منصب قيادي في أورشليم إذ كان يتمتع بخلفية رئيس الكهنة والغنى والسيطرة. إن لم يأتي أحد ليقلب هذه الموازين فكان سيسيطر هو وعائلته على الأمة اليهودية لسنين عدة. مجيء يسوع المسيا قد هدد بإنهاء تأثير نفوذه وسيطرته على الشعب. لم يكن يسوع نوع المسيا الذي كان يتوقعه. تسمك بالسلطة والهيبة والربح من الهيكل والسيطرة على اليهود؛ لم يسمح ليسوع الناصري بالتدخل في ما يختص بمنصبه وطموحاته.

بما أن حنان كان وراء القبض على يسوع، قد يكون هو أيضاً الذي قرر ماذا يفعلون به بعد القبض عليه. كان قد شجع الحملة ضده، وعمل على تسريعها بقدر المستطاع، وكان مصمماً على تتميمها. لقد وضع الترتيبات وأعطى التعليمات ووضع المؤامرات. لهذا عندما قُبض على يسوع أخذوه إلى حنان.

بعد ما قرر حنان انه ينبغي قتل يسوع، أراد أن يراه لكي يخترع سبباً لإدانته. وعندما وقف يسوع أمامه، سأله «عَنْ تَلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ» (يوحنا ١٨: ١٩). لقد انتهك

حنان العهد القديم وقوانين روما بما كان يعمله. بعد ما أتى بيسوع إلى محاكمة بدون تهمة حقيقية عليه، بدأ يستجوبه محاولاً إكتشاف جريمة ما يلصقاها به ليقيم بها دعوى عليه.

لم يرتعد سيد المجد أمام حنان ولم يقع في مكائده الملتوية، بل قال بهدوء: «أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلاَنِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ. لِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ اِسْأَلِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا مَاذَا كَلَّمْتُهُمْ. هُوَذَا هؤُلاَءِ يَعْرِفُونَ مَاذَا قُلْتُ أَنَا» (يوحنا ١٨: ٢٠ و٢١). لقد كشفت إجابته عما كان يفعل حنان. يدل كلام يسوع ضمناً على أن حنان لم يعامل عند القبض عليه بكرامة وهذا ما تطلبه منصبه. كان باستطاعته أن يعرف بسهولة ما علم يسوع وما عمل. لم يكن له عذر بان يطرح على يسوع مثل هذه الأسئلة، وقد تم القبض عليه من غير سبب حقيقي.

عند هذه المرحلة من الرواية يتحول المشهد إلى عسكري كان يقف بجانب يسوع أثناء استجوابه. وإذ أراد هذا أن يعود ببعض الكرامة لحنان لطم يسوع وقال: «أَهكَذَا تُجَاوِبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ؟» (يوحنا ١٨: ٢٢). لقد أوضح كلام يسوع مرة أخرى الحالة بهدوء. قال: «إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ، وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟» (يوحنا ١٨: ٢٣). وبهذا وضع المستجوب في مكان المتهم. في هذه المقابلة القصيرة تم التغلب على حنان في مقره بكلمات قليلة فقط من يسوع.

أما حنان فلا يمكن منعه. يقول النص: «وَكَانَ حَنَّانُ قَدْ أَرْسَلَهُ مُوثَقًا إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ» (يوحنا ١٨: ٢٤). أرسل حنان يسوع إلى قيافا بتهم ملفقة ونوايا سيئة، مصراً على أن يشارك قيافا رئيس الكهنة في إقامة دعوى ضد يسوع. وبهذا أتخذ حنان مكانه في التاريخ بانه الشعلة التي أدت إلى صلب يسوع.

ماذا يعلمنا هذا الجزء من محاكمة الرب عن التعامل مع أسوأ الحالات ومدبرو المكائد؟ **أولاً: يدل ضمناً على أن المشكلة الأكبر في العالم هي الخطيئة في حياة الناس.** أناس تملكهم الخطيئة بقيادة إنسان تملكه الخطيئة صلبوا يسوع. قد تحول الخطيئة رجل الدين الأكثر نفوذاً إلى وغد شرس ومتآمر وأناني ومضلل إذا ما سُمح بذلك. وقد تقنع {الخطيئة} خادم الله الحقيقي الطموح بأن يقتل.

علاوة على ذلك، يوضح هذا السيناريو أن الانتقام ليس خياراً حتى عندما تواجه شخصاً قد ارتكب أسوأ ما يمكن ارتكابه بحقك. لقد علمنا يسوع المعنى الحقيقي لاعطاء الخد الآخر. علم يسوع الناس بالتواضع وليس بالانتقام. «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ»، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ» (١ بطرس ٢: ٢٢ و٢٣). أجاب يسوع حنان بهدوء وباحترام قائلاً له الحقيقة.

يظهر هذا المشهد على كل المستويات أن المسيح هو مخلص جميع الناس. لقد اعتزم بان يسلم حياته لأجل خلاصنا، ولا شيء يمنعه من ذلك. كان باستطاعته أن يقول كلمة واحدة وينهي هذه المحاكمة. كان باستطاعته أن يرسل إلى الجحيم حالاً كل من رفع يده عليه أو تكلم عنه بشر. ولكنه وقف أمام ذلك المتعصب الديني إذ قرر أن يعطي نفسه كفارة لخطايا العالم.

❖-❖-❖-❖-❖

إذا عرفنا كل الحقائق، قد نقول أن حنان كان أسوأ إنسان في التاريخ - أسوأ من منسى {Manasseh} الذي جعل الدماء البريئة تجري في الشوارع؛ وأسوأ من دوميتيان الذي اضطهد المسيحيين؛ وأسوأ من هتلر الذي أرسل آلاف اليهود إلى خزانات الوقود؛ وأسوأ من ستالين الذي جعل شعبه يموت جوعاً. ما الذي يكون أسواء من تنسيق الإدانة غير العادلة ليسوع واعدامه؟ لم يقود حنان التهمة ضد يسوع بطريقة ظاهرة للعيان، ولكنه كان يدير الكل وراء الكواليس. ما الذي يمكن عمله بخصوص شخص مثل هذا؟ أرجو ألا تتغاضى عما عمله يسوع: مات من أجله!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩